فيها اللبن والعسل والخمر، ويُقام عليها من القصور ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد انتهى الأمر بعليٍّ إلى أن أصبح شديد الأمل في رضوان الله حين يبلغ الدار الآخرة، شديد اليأس من روح الله في هذه الدار الأولى؛ فلم يزده ذلك إلا اجتهادًا في العبادة والطاعة، ليستكثر من رضا الله عنه، ومِمَّا كان يرجو أن يدخر له في الجنة من نعيم، ولكنَّه قصَّر في التجارة وأهمل أمرها، وأخذ ينظر إلى أمور الدنيا في شيءٍ من الازدراء والاستخفاف دون أن ينسى نصيبه من متاعها ولذَّاتِها، وقد اجتهد في أن يحمل نفسه على الرضا بما قُسِمَ له، لولا أن بطون بنيه وبناته لم تكن تطمئن إلى الجوع ولا تقنع بالقليل من الطعام، ولولا أنَّ أزواجه وبنيه لم يكونوا يُقَدِّرون أزمته في تجارته ولا يعرفون من ضيق ذات يده شيئًا، فكانوا يطلبون ويُلِحُّونَ في الطلب، فإذا قصَّرَ الرجل في تحقيق آمالهم استحال بيته إلى جحيم لا يُطاق ولا يمكن الصبر عليه، وكثيرًا ما كان الرجل يفزع إلى المساجد ومجالس الشيوخ، يرى الناس أنه يبتغي بذلك العبادة والطاعة، ويرى هو أنه يفر من أزواجه وبنيه وإلحاحهم عليه فيما يريدون وما لا يطيق من الأمر، وقد انتهى ذلك بعليٍّ إلى شيءٍ من سوء الخلق لُوحِظَ عليه في أحاديثه وسيرته مع الناس، ولكن الناس كانوا يلتمسون له المعاذير لما يرون من إدبار الأمر عنه وإلحاح الكساد عليه.

ولم تبخل الظروف عليه بصديق السوء الذي يحرضه على ابنه خالد ويُغريه به ويسأله: كيف تشكو الضيق، وتتعرض للحرج وخالد موظف يتقاضى أربعة جنيهات في كل شهر غير ما يمكن أن يصل إلى يده من ذوي الحاجات؟! فلا تصدق أنَّ موظفًا يكتفي براتبه الذي يقبضه في كل شهر، ويقضي للناس حاجاتهم دون أن يأخذ على ذلك أجرًا، إن خالدًا لقادر — إن شاء — على أن يتحمل عنك بعض أعبائك، ويسد بعض خلتك، وينهض على أقل تقدير بحاجات امرأته وابنتيه.

والواقع أنَّ خالدًا كان يَبذُلُ أكثر ما يستطيع أن يبذله، فقد كان يُؤَدِّي إلى أبيه آخر الشهر أكثر راتبه لا يستبقي لنفسه إلا ربعه، وكان يرى أنَّ في ذلك أداء لحق أبيه عليه ونهوضًا بحاجة أهله الأدنين، ولكن أباه قال له ذات يوم: أنفق على أهلك يا بني، فإنِّي لا أجد ما أُنفق على أهلي، وحسبك أنكم تُقيمون في داري لا تُؤَدُّون على ذلك أجرًا. وقد صُعِقَ خالد لهذا القول الذي لم يكن ينتظر أن يسمعه من أبيه لِمَا كان يعرف من حبِّه له وبره به، ولم يكن ينتظر أن يسمعه لما كان يعلم من أدائه للحق ونهوضه بالواجب، فلمَّا سمع مقالة أبيه لم يحر جوابًا، فأعاد أبوه عليه مقالته مرة ومرة. قال الفتى: ومن